

— اللغة العامية واللغة الفصحى —

نشر بعضهم من سنواتٍ رسائلٍ متتابعة يدعو فيها علماء العربية وكتّابها الى استبدال اللغة العامية من الفصحى واعتمادها في الكتب والجرائد وغيرها ورسم لها حروفاً جديدة تُكتب بها هي الحروف اللاتينية وقد وضع لبعضها علاماتٍ خاصة للدلالة على المقاطع التي لا صور لها في اللغات الافرنجية . وقد انتهى اليها بعض ما نشره من تلك الرسائل وفيه امثلةٌ من حكاياتٍ وغيرها باللغة العامية المصرية كتبها بالحروف المذكورة فكانت نوعاً من الكرشوني<sup>(١)</sup> الا انه متفرنج كماكثر اهل الشرق في هذه الايام واذا قرئت جاء لفظها اشبه بلفظ رجل افرنجي يتعلم العربية ولا سيما في امر الحركات التي عبر عنها بالحرف المد فاذا نطق بها العربي توهم سامعه انه يقلد كلام احد الافرنج المقيمين في هذه الديار . واغرب من ذلك انه زعم ان تعلم هذه الحروف اسهل تناولاً على الأُمِّي من ابناء مصر وانها افضل ذريعة لتعميم القراءة في القطر وكأنه توهم ابن مصر رجلاً من ابناء امته قد تعلم القراءة بحروف لغته فكان تعلم قراءة العربية بحرف يعرفه اسهل عليه واقل كلفة من ان يتعلمها بحرف جديد . . والآ فان لم يكن بدّ لتعلم القراءة من ان يتعلم اشكال ثمانية وعشرين حرفاً فما الفرق بين ان يتعلمها بهذه الصورة او بتلك . وان قيل ان صورة الحرف الواحد تختلف احياناً بحسب موقعه من الكلمة قلنا وهذا ايضاً لا تخلو منه الحروف

(١) هو العربي المكتوب بالحرف السرياني

اللاتينية بل قد تكون صورتا الحرف الواحد فيها ابعد مماثلةً على ان الامر طوي من ذلك الحين ولم يصادف من احدٍ اهتماماً الى ان ظهر في هذه الايام كتابُ ألفه المستر ولُمور احد قضاة محكمة الاستئناف الاهلية على الطريقة المذكورة جمع فيه ما تسنى له من قواعد اللغة العامية المصرية على وجهٍ يقرب من الاجنبي تناولها والتكلم بها . والكتاب في هذا الحد يُعد ولا جرم خدمةً جلييلةً خدم بها قومه ولا سيما انهم بعد ان رسخت اقدامهم في هذه الديار لم يبقَ بهم غنى عن تعلم لغة البلاد فاختصر لهم الطريق الى هذه البغية بحيث صار يمكن الانكليزي ان يتعلم العربية بحرف لغته . ولهذا المعنى خصص هو وغيره ممن عني بهذا الامر اللغة العامية المصرية وقد افصح بذلك صاحب الاجيشن غارثيت فيما استهل به كلامه عند ذكره لهذا الكتاب حيث قال ما معناه « انه في مدة هذه التسع عشرة سنة ( اي منذ حلول الانكليز في القطر المصري ) حاول عدة اناس من الانكليز ان يضعوا مؤلفات لقواعد العربية الحديثة ومفرداتها » الى آخر ما ذكره . ولكن المؤلف وبعض اخوانه ممن علقوا التعاليق في الكتاب وممن قرظوه في جرائدهم لم يقفوا عند هذا الغرض من صنيع المؤلف ولكنهم ذهبوا الى ما وراء ذلك من وجوب نسخ اللغة الفصحى من البلاد واحلال اللغة العامية مكانها مع كتابتها بالحرف اللاتيني على مثل ما ذهب اليه صاحب الرسائل المقدم ذكرها . وحجتهم في ذلك ان اللغة الفصحى لغة قديمة ميتة قد انقطع عهد الالسنه بها من زمن مديد فلم تبقى صالحةً لنشر المباحث والاكتشافات العلمية وانما تنتشر فوائده العلم

باللغة الحية التي تفهم بها الامة لا باللغة التي لا توجد الا في بطون الاسفار .  
 واذا كان ذلك ووجب استبدال اللغة العامية من اللغة الفصحى لزم تبديل  
 اشكال الحروف ايضاً لان حروف الهجاء العربية لا تؤدي الاصوات  
 بتامها اذ لا صورة بينها للحركات بل هي قد لا تؤدي بعض اللفظ الجاري  
 على الألسنة في اللغة العامية نفسها

وهناك سبب آخر وهو أن الاجنبي الذي يتعلم العربية يرى في كتبها  
 الفاظاً لا يعرفها الا المتعلمون فضلاً عما يجد من الصعوبة في لفظها لما تقدم  
 من عدم وجود صور الحركات مرسومة في هجاء الكلمات على مثل ما هو  
 الحال في لغات اوربا

ويؤخذ من كلام المؤلف وبعض الجرائد الانكليزية في القطر الايماء  
 الى لزوم ادخال هذه الطريقة في المدارس اي مدارس الحكومة مع جعل  
 التعليم اجبارياً بحيث انه لا يمضي زمن قصير حتى يعم استعمالها في البلاد  
 وتكون الضربة القاضية على اللغة الفصحى واسفارها

ولا يخفى ان الحججة الكبرى في ذلك كله الفرق الذي حدث بين اللغة  
 العامية واللغة الفصحى حتى صارتا في نظر الاجنبي كأنهما لغتان متباينتان  
 بحيث يتعذر على العاقي فهم اللغة المكتوبة . ولكن ذلك وهم دسه على  
 اولئك القوم الجهل بلغة البلاد لانهم لو كانوا يعرفون العربية كما يعرفها  
 اهلها لعلموا ان معظم الفرق بين اللغتين مقصور في الغالب على اهمال  
 علامات الاعراب من اللسان العاقي بحيث اصبح مسموع اللفظين متبايناً  
 على الجملة . الا ان هذا انما تنكر به اللغة في سماع الاجنبي لاني سماع اهلها

الا ترى ان العامي منا لو سمع قائلاً يقول رأيت زيدا وجاء الرجالان  
 والمؤمنون يذهبون لم يلتبس عليه لفظ زيد بسبب ما اتصل به من التنوين  
 ولم يجد فرقاً بين الرجلان والرجلين ولا بين المؤمنون والمؤمنين ويذهبون  
 ويذهبوا وانما هذا كله مما يشكل على الاجنبي الذي لم يتعلم اللغة العامية .  
 ومن اعظم الشواهد على ذلك ان العامة منا يقرأون ويسمعون الجرائد  
 وكتب الروايات والاقاصيص الحديثة والقديمة من مثل سيرة بني هلال  
 وعنترة واحاديث الف ليلة وليلة وغيرها ويفهمونها ويروونها مع ان جميعها  
 مكتوبة باللغة الفصيحة . اجل لا ننكر ان العامي لا يفهم بعض لغة  
 الحريري مثلاً والمتنبي ولا لغة امرئ القيس وعبيد بن الابرص الا ان مثل  
 كلام هؤلاء لا يدخل في هذا البحث لان لغة الجاهلية قد أهملت من  
 زمن طويل فلا يكتب بها احد بل اصبح كثيرٌ منها مما لا يفهمه حتى  
 الخاصة ولغة الحريري نسجٌ مخصوص قصد به التفنن في اللغة والايغال في  
 غريبها والتبسط في فنون البديع والاكثار من الاستعارات والكنايات  
 وغيرها ولكن هذا لم يكن مطرداً في جميع كتاباته بل لا تكاد تجد له شيئاً  
 منه في غير مقاماته . وقس على ذلك رسائل الخاصة من مثل البديع  
 والصابي واخوارزمي وهي ايضاً لغة خاصة لهم يتداولونها بينهم ويتأقنون في  
 السجع ومذاهب البلاغة ولكنهم اذا كتبوا في غير ذلك من نحو رواية  
 خبر او تقرير مسألة كتبوا بغير هذه اللغة كما تشهد به كتاباتهم الباقية الى  
 اليوم . ومعلوم ان اللغة طبقات منها بعد عهد الجاهلية الكتابات التي تُقصد  
 بها الخاصة كالتي اشير اليها ومنها الكتابات التي تُلقي الى جمهور المتأديين

مثل تعريب كليلة ودمنة واخبار الاغاني ومقدمة ابن خلدون وما في هذه الطبقة يُناق فيها ولا يُبلغ بها حدّ الغرابة ومنها ما يُلقى الى العامة مثل كتاب الف ليلة وليلة وكتب النوادر والا قاصيص المختلفة وهي الكتابة الشائعة في المخاطبات والمعاملات ومنها كتابة الجرائد ونحوها في هذه الايام . وهذا النمط الاخير تفهمه العامة بتمامه ولا يقف دون فهمها لهُ تبديل بعض المقاطع مما تحرّف على أسنتها وهو قليل او تعبير شيء من هيئة بعض الكلمات بسبب الاعراب وهو لا يلزم الا نادراً واما اوضاع اللغة الاصلية من الاسماء والافعال والحروف فهي في كلام العامة الالفاظ الفصيحة بعينها ما خلا الفاظاً قليلة من المرتجلة او المنقولة عن اللغات الاجنبية وهي لا تغير جوهر اللغة ولا تليق عليها صبغة اخرى

والذي عندنا ان السبب الواقعي في هذه الحركة والداعي الى احداث هذا الانقلاب العظيم في الامة هو السبب المذكور آخراً وهو ما يجده الاجنبي في اللغة المكتوبة من الالفاظ التي لا يفهمها الا المتعلمون وحينئذٍ كان يجد من نفسه انه لا بد له من تعلم اللغتين جميعاً لانه لو تعلم اللغة العامية وحدها بقيت اللغة الفصحى مبهمه عليه ولو تعلم الفصحى وحدها سمع من الفاظ العامة ما لا يفهمه لان ادنى تغيير في صورة اللفظة يقف حجاباً بينه وبين فهم معناها . والقوم لا يستغنون عن كلتا اللغتين احدهما للمفاوضات اللسانية والمصالح اليومية والاخرى لفهم ما يُكتب ولا سيما في الجرائد السياسية ولا نقول في اوراق الحكومة لان لهذه لغةً ثالثة لا تُعدّ من هذه ولا تلك ونعني بها اللغة المعروفة بلغة الدواوين . . . وهذه

لا نعلم باي طريقة ينوون ان يتداركوها  
 واما كون اللغة العامية اصلح لنشر المباحث العلمية فاعله لا يخلو من  
 الصحة والذي نقدره من معنى هذا القول انه لما كانت هذه اللغة فاقدة  
 الروابط والفاظها غير مقيّدة باوزانٍ محرّرة ولا معرّضة للحركات الاعرابية  
 كالصنيع الفصيحة كان من الممكن ان تُدخَلَ فيها جميع الالفاظ الاعجمية  
 المستحدثة في العلم والصناعة وغيرها من غير حاجةٍ الى وضع مرادفاتٍ لها  
 من العربية او افرانها في قالبٍ من قوالب التعريب وحينئذٍ تكون منزلتها  
 من هذه الجهة منزلة اللغة التركيبية في هذه الايام . وهذا ولا جرم من  
 الامور التي ينبغي لكل عربيٍ ان يعيرها نظرة اهتمام فان اضطرارنا الى  
 ادخال علوم العصر في مدارسنا مما لا كلام فيه ولكن اكثر مصطلحات  
 تلك العلوم لا لفظ له في لساننا لانه مما استُحدث بعد انقطاع عهد العلم  
 عند العرب بل ربما نشأ هناك فروعٌ من العلم لم يكن لها رسمٌ عندهم ولا  
 عرفوا شيئاً منها كالكهربائية والبخار وغيرها فضلاً عن العلوم التي تبدل  
 رسمها كالكيمياء والهئية وفضلاً عن اسماء الآلات والمصطلحات الصناعية  
 بحيث كان اكثر اللغة العلمية مما لا مرادف له عندنا واصبح لا يمكن  
 التعبير عنه الا باحد وجهين اما بان نستخدم الالفاظ الاعجمية عينها وهي  
 تباين الاوضاع العربية في اوزانها ومقاطعها فتؤدي الى تشويه وجه اللغة  
 وافساد محاسنها واما بان نتكف تعريب بعضها ووضع مرادفاتٍ لبعض  
 الآخر وهذا على ما نرى لا موضع له اليوم مع انقطاع ائمة اللغة عندنا الى  
 بعض صحف الاوائل يتقبون في خلال سطورها ويبحثون عما تحت الفاظها

وحرورها من المغازي والاسرار ومع اشتغال الكتّاب منا بتقويم أود السياسة والدود عن حياض الشرق بأسنة اقلامهم الماضية ..... وما دام اصحاب اللغة نائمين عن الاهتمام بسدّ ثلثها والمصير بها الى مجارة لغات العصر فهي ولا محالة صائرة الى اقباح مما اشار به مؤلف الكتاب ومن على رأيه بحيث ان اللغة العلمية ولغة الحديث ستصبح كتابها فرعاً من المالطية ولا تبقى اللغة الفصحى الا في الجوامع والمحاكم وهذا معنى موت اللغة لا توصف اللغات الميتة بغير ذلك . فان كانوا راضين بهذا فهو متسنّ لهم من اليوم ولا نرى وجهاً لاعتراض بعض الجرائد على صاحب الكتاب فانه قد صدقنا النصيحة ولم يُشِرْ الا بما يعود الى ترقية عقول الامة والا بقي ابن الشرق في القرن العشرين كما كان البدوي في زمن الجاهلية

واما مسألة الكتابة وعدم وجود صور لاصوات الحركات في رسم الهجاء العربي فما لا يُبالى به بالقياس الى الامة نفسها ان كان النظر اليها مجرداً ولو كان من اصعب العقبات بالقياس الى الاجنبي الذي يروم تعلم اللغة والقراءة في كتبها . وهذا على الحقيقة من المشاكل التي يعسر حلها لان للحركات عندنا مقادير لا تتعداها فاذا رُسمت بالحروف كما هو الشأن في اللغات الاوربية جاء لفظ الكلمات منكراً وربما التبس بعضها ببعض فلم يبق فرق بين سلم مثلاً وسالم وسليم اذ يكون بعد السين الف وبعد اللام ياء في الشكل وقد يجيء ما هو انكر من ذلك كما في مثل قتل وقاتل لما هناك من الاختلاف الفاحش في المعنى وحينئذ لا يبقى غنى عن وضع علامات تميز الحركة من الحرف فعاد الامر الى الشكل وهو يعني وحده

بدون الحروف . وذلك فضلاً عما في التزام التحريك في الرسم سواءً كان بالحرف العربي ام اللاتيني من اطالة هجاء الكلمات واقتضاء الكتابة زمنياً اطول الى ضعفٍ آخر في الاقل . فجملة ما يقال ان الحركات في العربية لا تُكتب الا بصورة حركات لان لفظها ليس لفظ الحروف الكاملة ولا هي داخلة في بنية الكلمات وانما الغرض الاصلي منها الانتقال من مقطع الى مقطع لكن غاية ما هناك انه يمكن استنباط طريقة تمكن المطابع من وضع الحركات على وجهٍ اسهل وحينئذٍ لا يُشكل الا الحرف الذي يمكن التباسه ولو على الاجنبي فتكون مطبوعاتنا على مثال بعض الكتب التي تُطبع للتعليم في المدارس وان كان الامر على كل حال فيه من الصعوبة ما فيه بقي انه على تقدير خروج هذا الرأي الى الفعل فان ما يتخلص منه الاجنبي يقع فيه الوطني بل يقع في اشد مفضاضاً منه على ما سنذكره .

ونعني بالوطني هنا المسلم الذي هو العنصر الغالب في البلاد فانه مع تعليمه قواعد اللغة العامية لا يستغني عن تعلم اللغة الفصحى لاجحام قراءة القرآن وتلقي الحديث وفهم نصوص الشرع المبنية عليهما ولا بد بلوغ هذه المنزلة من قراءة كتب النحو والبيان واللغة وسائر علوم الادب . وهذه كلها ان لم يتعلمها في مدارس البلاد لزمه ان يتعلمها في مدارس اخرى خاصة او يدرسها في منزله وكلاهما لا يستطيعه الا الاغنياء فضلاً عما فيه من المشقة واضاعة الزمن . وكذلك يلزمه ان يتعلم قراءتين احدهما بالحرف العربي لتلاوة القرآن لانه لا يجوز له ان يكتبه بحرف اجنبي الا عند الضرورة على خلاف والاخرى بالحرف اللاتيني المصطلح عليه في البلاد

لمطالعة ما يُنشر فيها من الكتب والجرائد ولدراسة العلوم العصرية التي يرام  
 كتابتها باللغة والحرف المذكورين على ما اشير اليه في التأليف ولا نخال  
 التسليم بذلك كله من الامور المستسهلة . ومن هنا يعلم المؤلف وغيره ان  
 العربية لا تقاس في ذلك بالاطليانية واليونانية اذ ليس في هاتين اللغتين شيء  
 من الامر الديني الذي اشرفنا اليه بل فيما حدث اخيراً في امر ترجمة الانجيل  
 الى اليونانية الحديثة عبرة كافية مع انتقاء المحذور الذي ذكرناه . وبقي  
 وراء ذلك كله ما يترتب على هذا الانقلاب من الخسران الجسيم بضياح  
 ما لا يُحصى من كتب العلم والتاريخ وغيرها بحيث يتعذر نقل هذه الكتب  
 بأسرها الى الحرف الجديد ولا يبقى سبيل للاعقاب الى تناول ما فيها اذا  
 تغير الحرف الذي يقرأون به . ولذلك فالذي نراه لواقعي هذه الطريقة  
 ان يقتصروا فيها على تعليم الاجنبي لغة البلاد ولا يتجاوزوا الى ما وراء ذلك  
 من التبدل في شؤون الامة فان محاولة هذا الاحداث فيها ليس في شيء  
 من الحكمة ولا هو من الامور التي يساعدها الامكان

### — ❦ — المرأة ❦ —

بقلم حضرة الكاتب نجيب افندي ماضي  
 (تمة ما سبق)

على ان العلماء مختلفون في امر الحجاب وقد ظهر من مناقشاتهم فيه  
 انه لا يوجد نص صريح يوجبه او يحدده تحديداً واضحاً والرويات عن الصحابة  
 وائمة الدين في ايجابه وتركه مختلفة ايضاً وحينئذ فالامر عائد الى رأي كل